HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal
of Arabic Language Sciences
هكسا جورنال
علوم اللغة العربية

اللغة العربية فى المجتمع المصرى المعاصر: عوائق وعثرات وسبل العلاج

أيمن محمد عبد السلام حجازي
دكتوراه فى الدراسات الأدبية الحديثة
الإدارة العامة لجامعة طنطا
شارع الجيش – طنطا - جمهورية مصر العربية
dr.aymanhegazy2014@yahoo.com, draymanhegazy4@gmail.com

ملخص البحث

لاشك فى أن اللغة هى مستودع التراث، ووعاء الفكر، وبها يتحقق بناء الأمة وهويتها، وثقافتها، وضمان تماسكها، وتواصل حركة أجيالها، ومن ثم فإنها ظاهرة إنسانية- اجتماعية، تعرف بها الملامح المميزة لكل مجتمع فى كل عصر من عصور التاريخ وإيمانا من الباحث بأهمية اللغة العربية ودورها المتين فى ترسيخ الهوية القومية للأمة فإن هذا البحث يسعى إلى الوقوف على بعض العوائق والعثرات التى تواجهها اللغة العربية فى المجتمع المصرى المعاصر ومن بينها: تدنى المستوى اللغوى حتى على مستوى الممارسات السلوكية بين الناس، تشجيع انتشار اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها فى الحياة العامة، انتشار الفضائيات العربية التى تبث برامجها بالعامية المحلية، والاهتمام باللغات الأجنبية على حساب العربية. لهذا تطلع الباحث إلى الوقوف عند هذه العوائق والعثرات، وتقديم بعض سبل العلاج وانتهى البحث إلى عدد من المقترحات لعلاج تلك العثرات منها مايلى: إذا كانت الدول تقوم بسن القوانين وإصدار التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تصان اللغة من التدليس والتدنيس، ضرورة تركيز المناهج الدراسية على المهارات اللغوية الأساسية كالاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة، التأكيد على دور المجامع اللغوية للقيام بدورها نحو اتخاذ الآتي، السعي نحو استصدار قرار يفرض التعليم بالعربية لاسيما أن أغلب الدساتير تعتمد العربية لغة رسمية، وإعداد العدة لسد الثغرات فيما تحتاج إليه المدارس والجامعات، إعادة صياغة أهدافها بما يتناسب مع العصر، وأن تجعل التعليم من أولوياتها، وأن تسعى إلى تسريع عجلة إنجازاتها لتتوافق مع سرعة العصر وحاجة الاستعمال، وأن تتصالح مع التكنولوجيا والتعليم الالكترونى، والترجمة الآلية، تنمية اللغة العربية من خلال العديد من الأفكار التى يمكن وضعها وتنسيقها فى محورين رئيسيين: الأول يتمثل فى تفعيل اللغة الفصحى وإحيائها، والآخر يتمثل فى مسئولية الإعلام بكافة مستوياته (المسموع- المرئى- المقروء) وهى مسئولية جسيمة أن نتحملها لإعادة اللغة العربية إلى وضعها الصحيح، وتعزيز مكانتها فى النفوس، لكونها لغة الأمة، وبناء المستقبل، ومواجهة اللغات المحلية واللهجات الدارجة التى طغت على الفصحى، وأصبحت تستعمل فى معظم مجالات الحياة فى البلاد العربية.

Abstract

There is no doubt that language is the repository of heritage and the vessel of thought, and through it the building of the nation, its identity, and its culture is achieved, ensuring its cohesion, and the continuity of the movement of its generations. The Arabic language and its strong role in consolidating the national identity of the nation. This research seeks to identify some of the obstacles and stumbling blocks that the Arabic language faces in contemporary Egyptian society, including: The linguistic level is low, even at the level of behavioral practices among people, Encouraging the spread of local dialects and promoting their use in public life, The spread of Arab satellite channels that broadcast their programs in the local vernacular, Interest in foreign languages at the expense of Arabic For this, the researcher aspired to stand at these: obstacles and stumbling blocks, and to provide some means of treatment. The research ended with a number of proposals to treat these stumbling blocks,

including the following: If countries are enacting laws and issuing legislation to protect currency from forgery, then it is a matter of priority that the language be preserved from fraud and desecration, The need to focus the curricula on basic language skills such as listening, speaking, reading and writing. Emphasis on the role of linguistic academies to carry out their role towards taking the following: Striving towards issuing a decision that imposes education in Arabic, especially since most constitutions adopt Arabic as an official language, and preparing equipment to fill the gaps in what schools and universities need, Reformulating its objectives in line with the times, making education one of its priorities, seeking to accelerate its achievements to match the speed of the times and the need for use, and reconciling with technology, e-learning, and machine translation, Developing the Arabic language through many ideas that can be developed and coordinated in two main axes: the first is to activate the classical language and revive it The other is the responsibility of the media at all levels (audio-visual-read), and it is a huge responsibility that we bear to restore the Arabic language to its correct position, and to strengthen its position in the souls, as it is the language of the nation, and building the future. Confronting the local languages and dialects that dominated classical Arabic and became used in most areas of life in the Arab countries.

أولا: مدخل البحث

إن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لتأثير مجتمعاتها ،ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ، وللغة العربية أثر كبير فى بناء حضارة الأمة الإسلامية وفى التواصل بين أبنائها ،فكانت – ولاتزال مناط العلوم والآداب ،ووسيلة نشر المعارف التى أنتجتها الأمة الإسلامية وقدمتها حضارة للبشر، ولم لا؟ وهى عنوان هويتنا العربية ،ورمز كياننا القومى،ولغة قرآننا حيث يقول جل وعلا" وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين " (الشعراء: 192 – 195) فلما وصفها الله بالبيان علم أنها تفوق غيرها من اللغات،وهذا وسام شرف،وتاج كلل الله به مفرق العربية،بخاصة حين ناط الله بها كلامه المنزل فقال تعالى"إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف: 2) وقال جل شأنه:" إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"(الزخرف: 3) ،"فأضاف إليها القرآن الكريم أبعادا جديدة ،ومصطلحات مستحدثة،وجعلها أوسع أفقا ،وأغزر عطاء، وأقدر على استيعاب معطيات الحضارة،كما منحها إظهار قدرتها فى حمل الأفكار والمبادىء والنظريات السامية فى الحياة،وبفضل هذه المكانة العظيمة التى أوجدها القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية رمزا للوحدة الاجتماعية والثقافية"[1]، واستطاعت أن تكون اللغة العالمية لعدة قرون فى التاريخ الوسيط ،حيث يقول محى الدين صابر:" إن اللغة العربية أصبحت لعدة قرون فى التاريخ الوسيط هى اللغة العالمية،لغة الفكر والعلم والاجتماع والاقتصاد والسياسة،وتعايشت الثقافة العربية مع ثقافات الشعوب التى ارتبطت معها بالعقيدة،ولم تحاول طمسها أو استلابها ولكنها تعاملت معها أخذا وعطاء فأغنتها واغتنت بها ،وقبلت دون تحيز أو تمييز من استطاع أن يضيف إلى قدرتها" [2].ظلت اللغة العربية على تلك المكانة المرموقة عدة قرون ،كانت فيها لغة العلم الدولية،ولغة السياسة والتجارة الدولية،وهو دور شبيه بدور اللغة الانجليزية فى وقتنا الحالى،ثم سرعان ما أخذت بعدها فى الضعف والتدهورعلى يد المستعمر القديم والاستعمار الحديث اللذين استهدفا أهم خصائص الهوية الثقافية العربية وأعنى بها أصالة الأمة وجوهرها المتمثل فى اللغة العربية الأصيلة حيث أدرك أن" اللغة القومية تشد الإنسان العربى إلى قوميته وهويته وتربة وطنه وتربى فيه شخصيته القومية وهويته الثقافية،ومشاعر العزة والانتماء والمواطنة،فكان إحياء اللغات الميتة وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، وتعزيز استعمالها فى الحياة العامة والرسمية،واتهام العربية بالقصور والعجز ، وعدم القدرةعلى مواكبة روح العصر الذى تسيطر عليه العولمة والغزو الثقافى،وكذلك نشر المؤسسات التعليمية ذات الأهداف الغامضة ،وانتشار الفضائيات العربية والأجنبية التى تبث أكثر برامجها بالعامية المحلية بالإضافة إلى إفسادالذوق ومخاطبة الغرائز المناط ببعض الفضائيات العربية والأجنبية كل ذلك من مظاهر السياسة المناوئة إزاء اللغة العربية" (3) ويشير الواقع الراهن فى المجتمعات العربية عامة وفى مجتمعنا المصرى خاصة إلى " تراجع اللغة العربية فى البيت والمدرسة والشارع وفى كافة المؤسسات الرسمية،وإذا استمر الحال على ما هو عليه فقد تصل اللغة العربية إلى وضع يستحيل معه إنقاذها مما سيحرم العرب بوجه عام من لغة مشتركة تعزز هويتهم وثقافتهم،وانتماءهم وقيمهم، كما سيتسبب فى صور جديدة من التمزق، والخسارة لن تكون محصورة فى البلاد العربية وحدها...-"(4).

ثانيا:العوائق والعثرات التى تواجه اللغة العربية:

من الملاحظ أن هناك تغييرا ثقافيا تعرض له المجتمع المصرى بصفة خاصة، ونتج عنه تغيرا فى نسق القيم وفى الهوية الثقافية مما أدى إلى انتشار العديد من السلبيات والعوائق والعثرات يمكن إجمالها على النحو التالى:-

1. تدنى المستوى اللغوى حتى على مستوى الممارسات السلوكية بين الناس.
2. تشجيع انتشار اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها فى الحياة العامة.
3. انتشار الفضائيات العربية التى تبث برامجها بالعامية المحلية.
4. الاهتمام باللغات الأجنبية على حساب العربية.

أولا: تدنى المستوى اللغوى حتى على مستوى الممارسات السلوكية بين الناس

لاشك فى أن اللغة العربية هى" مناط شخصية العرب الحضارية، ووعاء قيمها الخالدة، ومستقر إبداعهم، وقوام ثقافتهم..." (5) ومن ثم " فحياة اللغة العربية وحيويتها رهن استعمالنا لها ،وقدرتنا على توسيع مجالها،وحملها على الاستجابة لحاجاتنا،ولا يتحقق ذلك إلا بقدر ممارستنا الصحيحة لها،وتحميلها لتجارب بشرية جديدة،وإبقائها لغة تواصل بين كل العرب رهين جمعنا لشتات معطياتها وتجسيمها فى وسائل عمل متجددة وسعينا المتواصل على متابعة تطورها وتعهده" (6) ، ولهذا فإن عزل اللغة العربية عن الاستعمال السليم يعد قتلا لها،والاستهانة بها هو وأد لها،وإمعان فى سياسة التقصير إزاءها،ففى حوار له مع الكاتب الصحفى السورى عبد الرحمن حمادى يرى الدكتور عبد الكريم الأشتر أن هناك ضعفا وتدنيا على ألسنة كثير من المختصين باللغة العربية،فيقول:" فى تدريسى للغة العربية فى الجامعات هالنى ما وصلت إليه اللغة العربية من ضعف على ألسنة كثير من المختصين طلبتها فى الجامعات،وأقلامهم،وعلى ألسنة كثير من المختصين من رجالها فى المؤسسات الثقافية المختلفة،وكثيرا ما أجد فى أوراق طلبتى فى السنة الرابعة من كليات الآداب وهم على أبواب التخرج بدائع وأعاجيب وهذا يستدعى أن نعترف بأن لغتنا العربية ليست فى وضع يدعونا للاطمئنان عليها،وبالتالى لابد من أن نوجد العزيمة والنية النابعتين من محبة هذه اللغة وتقدير خصائصها الرائعة وقدراتها الهائلة والرغبة فى حفظها وصيانتها من الأخطار التى تتهددها" (7) .

إن هذا التدنى فى المستوى اللغوى الذى نراه الآن يلاحق الجميع من طلبة وخريجى المعاهد والجامعات ،وكذا بعض المختصين باللغة نفسها، تنبه له ،وحذر منه علماء أجلاء، فها هى بنت الشاطىء التى تقول:" الظاهرة الخطيرة لأزمتنا اللغوية هى أن التلميذ كلما سار خطوة فى تعلم اللغة العربية ازداد جهلا بها ،ونفورا منها، وصدودا عنها ،وقد يمضى فى الطريق التعليمى إلى آخر الشوط فيتخرج من الجامعة وهو لايستطيع أن يكتب خطابا بسيطا بلغة قومه،بل قد يتخصص فى دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها،ويعيبه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التى هى لسان قوميته،ومادة تخصصه،كل درس يتلقاه أبناؤنا فى لغتهم العربية،ينأى بهم عنها،ونرى اللغات الأخرى يتعلمها أبناؤها فى مدارسهم العامة فيكسبون من كل درس معرفة جديدة بأسرار لغتهم،وتسمع أساتذة كبارا يحاضرون بالعربية أو يلقون أحاديث فى أندية ثقافية،ونقرأ لهم ما يكتبون من بحوث ومقالات ،فتدرك ما يعانون من إحساس باهظ بعقدة اللغة التى ترهقهم بالشعور بأنهم لايملكون أداة للتعبير السليم الطلق عن أفكارهم وآرائهم"(8) والمتأمل فى واقع المدارس التعليمية ،وكذا الجامعات فى البلدان العربية عامة ،وفى مصر خاصة ،سوف يرى أنها تفرز لنا كل عام أعدادا ضخمة من الخريجيين الذين يفترض أنهم مختصون بتعليم اللغة العربية ،ولكن للأسف فإننا نرى أن نسبة الأمية اللغوية تزداد يوما بعد يوم ،والفجوة تتسع بين العربية وأبنائها لدرجة العداء،وإذا كان الأمر كذلك لدى طلاب قسم اللغة العربية وآدابها ،فما بالنا بحال بقية الطلاب فى الأقسام الأخرى ،والذين يعتبرونها عبئا على اختصاصاتهم الأصلية؟ يجيب عن هذا التساؤل الدراسة التى قامت بها الباحثتان إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال تحت عنوان :" الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة

العولمة- دراسة ميدانية على بعض موجهى اللغة العربية " فى العام 2008م ، حيث تطرح تلك الدراسة عدة تساؤلات من بينها: هل نجحت مرحلة التعليم الأساسى فعلا فى تزويد تلاميذها بالمهارات الأساسية للغة؟ وهل هؤلاء التلاميذ يستخدمون اللغة استخداما صحيحا؟ وكانت الإجابة عن هذا التساؤل كما كشفت الدراسة الميدانية من واقع ما سجله موجهو اللغة العربية فى كثير من سجلات الزيارات بمدارس التعليم الأساسى(الإبتدائى والإعدادى) عن ضعف التلاميذ وتدنى مستواهم،حيث أكد أحد المبحوثين من أفراد العينة على ذلك بقوله:"إن الآباء غاضبون من أن أولادهم عاجزون عن الكتابة بلغة عربية سليمة"(9)كما أشارت الدراسة إلى أن موجهى اللغة العربية فى مقابلاتهم مع الباحثين من واقع ما يلاحظونه على مستوى طلاب المدارس فى كافة المراحل عن أن الضعف المتفشى فى التعليم اليوم ليس قاصرا على مرحلة التعليم الأساسى والثانوى فقط، بل يشمل أيضا طلاب الجامعات فهم عاجزون عن تدوين مذكراتهم وتلخيص محاضراتهم وبحوثهم، كما أنهم عاجزون عن إرسال برقية أو كتابة دعوة ،أو رسالة بلغة عربية سليمة"(10)، ويحق لنا أن نتساءل أمام هذا الواقع،ونحن نرى تدهور مستوى اللغة العربية وضعف أبناء الأمة بلغتهم"من المسؤول؟ وأصابع الاتهام تشير إلينا جميعا، هل النظام التعليمى هو المسؤول،ونحن نشهد كل يوم مؤتمرات لتطويره؟، أم الطالب الذى يتكبد أعباء كثيرة من كثرة المناهج والدروس الخصوصية والترغيب فى اللغات الأجنبية للزج به فى بحر التكنولوجيا من أجل عصرية المعرفة ولإيجاد فرصة عمل بعد التخرج؟ أم أن المتهم هو المدرس الذى يتخرج فى كليته ضعيف المستوى يشرح مادته الفصحى بلهجة عامية مما يفقده ثقة طلابه فى المادة التى يدرسها" (11)، الجدير بالذكر أن الدراسة التى قامت بها الباحثتان إيمان جابر شومان،وإيناس محمد غزال السابق الإشارة إليها قد أسفرت من خلال المقابلات مع عينة الدراسة أن"معلمى اللغة العربية ضمن الأسباب الرئيسية لتفشى هذا الضعف والتدنى فى المستوى اللغوى....إذ إن معلم اللغة العربية التحق بكليات الآداب أو التربية قسم اللغة العربية والغالبية العظمى منهم لم تكن دراسة اللغة العربية هى هدفهم المفضل، فهم لم يدرسوا اللغة العربية حبا فى دراستها بل أهلهم لدراستها إما المجموع أو التطلع إلى العمل بعد التخرج بإحدى الدول العربية،أو المكافآت التى كانت تمنح لدارسى اللغة العربية تشجيعا لهم ولغيرهم حتى يقبلوا على دراستها،أى أنهم يدرسون مواد لاتتفق مع ميولهم ولاتشبع رغباتهم وخاصة المادية وبالتالى فحصيلتهم من أجل النجاح لا من أجل السيطرة على فنون اللغة ومهاراتها"(12) ، فمن أين لنا إذن أن نربى جيلا من المعلمين الأكفاء، وكيف لطالب العربية أن يتكلم لغة سليمة صحيحة وهو لم يسمعها من معلمه خلال مراحل الدراسة،وبخاصة إذا علمنا أن هناك عددا غير قليل من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات يعانون كذلك من ضعف المستوى اللغوى،وهشاشة المادة العلمية،لذا يقول محمود عمار:" أصبح الخطأ فى اللغة هما يؤرق جفون المهتمين والمعلمين وأولياء الأمور،وأساتذة الجامعات،والغير من أبناء الأمة وضجت الشكوى من هذا الضعف فى كثير من البلدان العربية،وتنادت الصحف، والندوات،والمؤتمرات،والمجامع بأن هذا الضعف أصبح بدرجة يهدد اللغة العربية واقعا ومستقبلا، يخشى منه على الأمة وشخصيتها،وعقيدتها،وكيانها،وصلتها بتراثها وجذورها"(13) وإذا لم" يتدارك المثقفون والتربويون هذه المشكلة ،ويسعوا إلى علاجها والحد من آثارها فإن العواقب ستكون وخيمة على المشهدين الثقافى والعلمى. فضعف الطلاب لغويا يعنى قصورا فى أداء مهامهم الثقافية والعلمية،وقصورا فى التواصل العلمى مع مصادر المعرفة، وقصورا ثقافيا يحد من انتفاعهم بالرصيد العلمى الذاخر لأمتهم والأمم الأخرى،وضعفا فى القدرة على الإضافة إلى هذا الرصيد،وفوق ذلك ضعفا فى ارتباطهم بدينهم الإسلامى وتراثهم العربى"(14) وإذا كان الأمر كذلك فلا بد لنا من الوقوف على أسباب هذه الظاهرة، وتدنى المستوى اللغوى للطلاب، فى الحقيقة هناك أسبابا كثيرة يرجعها الباحثون إلى ذلك ،فمنهم من يرى أن ذلك بسبب المعلم وتأهيله وطريقة تدريسه،ومنهم من يرجعها إلى الطالب نفسه وعدم جديته ورغبته فى إدراك المهارات الأساسية فى اللغة العربية،وهناك من يرى سوءا فى تصميم المناهج الدراسية،وكذا الكتب المدرسية التى ينقصها عنصر التشويق والارتباط بواقع الطلاب،وحياتهم ومتطلباتهم،وآخرون يحملون وسائل الإعلام المختلفة مسؤولية هذه الظاهرة،ولاشك فى أن استمرار ذلك التدنى فى المستوى اللغوى من غير أن تمتد إليه يد العلاج الفعال لوقفه،يؤدى إلى استفحاله،وزيادة شدته، حتى ينتهى به الحال إلى موت اللغة والقضاء عليها قضاء مبرما.

وإذا وقفنا على السبب الأول لهذه الظاهرة وهو المعلم وتأهيله وطريقة تدريسه ،فإننا لو بحثنا فى مدى إعداد معلم اللغة العربية بكليات التربية فسنجد ما يلى:(15)

1. تشتت الطالب بين المواد التربوية والمواد الأكاديمية، فكم من المواد الدراسية والكتب التربوية والأكاديمية لايستفيد منها فى وظيفته كمعلم إلا قليلا.

2. التدريب العملى لهؤلاء الطلاب لايحقق أهدافه المرجوة منها لعدة أسباب منها:

– يتم أحيانا توزيع مجموعات كبيرة من الطلاب على مدارس محدودة الفصول لاتحتمل هذه الأعداد مما يؤدى إلى قصر عملية التدريس على القليل من هؤلاء الطلاب وحرمان الآخرين.

– حتى لو كان عدد المجموعات مناسبا فلا يمارس الطلاب عملية التدريب سوى مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر طوال العام.

– بعض المدارس لاتسمح للمتدربين إلا بحصة أو حصتين فقط فى يوم التدريب،وتعتبر يوم التدريب مضيعة للوقت، هذا بالإضافة إلى أن المدرسين الأساسيين ينتقدون الطلاب المتدربين،ويستهينون بهم أمام التلاميذ.

– تهاون الكثير من المشرفين الفنيين على هؤلاء الطلاب فى متابعتهم وتوجيههم،وتقويم أدائهم.

أما فيما يتعلق بالطلاب فإن أشد ما يحز بالنفس انتشار ظاهرة اللحن بدرجة كبيرة على ألسنتهم ،وعلى أسنة أقلامهم سواء كانوا صغارا أم كبارا،وفى دراسة له تحت عنوان" من الأخطاء الشائعة" (16) يرصد لنا الدكتور/ محمد حلمى أفندى مجموعة من الأخطاء الشائعة فى بنية الكلمة ،أوضبط بنيتها، وكذا فى تعدى الفعل ولزومه ، وفى كتابة الأعداد وتمييزها، ليقف عليها المهتمون باللغه ، والمدافعون عن حياضها،والحريصون كل الحرص على سلامتها وحفظها، عرض لها تحت عنوان (لاتقل) ، ثم بين صوابها تحت عنوان (قل) ،مع ذكرعلة الخطأ ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلى:

أولا: من الأخطاء الشائعة فى بنية الكلمة

لاتقل	قل	العلة
الشيىء بسيط	الشيىء سهل	البسيط الواسع،والبسط نقيض القبض
تتابعت المصائب	تتايعت المصائب	التتابع خاص بالخير،والتتايع خاص بالشر
الخطةالاقتصادية	الخطة الاقتصادية	الخطة:الأرض التى يختطها الرجل ليبنيها،أماالخطة:الأمرالمعزوم عليه
صرح له بالسفر	أذن له بالسفر	إذ صرح،وتصريح من الإبانة والوضوح

ثانيا : من الأخطاء الشائعة فى ضبط بنية الكلمة

الصواب	الخطأ
تجربة(بكسرالراء)	تجربة (بضم الراء)
خسارة(بفتح الخاء)	خسارة (بضم الخاء)
القرار رقم(بسكون القاف)	القرار رقم (بفتح القاف)

ولاشك فى أن مثل هذه الدراسات تساعد الطلاب على تقوية ملكتهم اللغوية،وزيادة ألفتهم مع النصوص العربية،وكذا تحفيزهم على اعتماد اللغة العربية فى تفكيرهم وتعبيرهم0

إن الضعف اللغوى المتفشى فى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة يؤثر تأثيرا بالغا فى القارئين والسامعين،وينقل إلى هؤلاء المتلقين ضعفه وعيوبه ونقصه، وبخاصة الصغار الذين هم فى مراحل تكوينهم اللغوى والفكرى،ويستوعبون بسرعة ما يلقى إليهم من غث وثمين،بالإضافة إلى ذلك فإن ما نراه من هزالة الثقافة العامة لدى الشباب العربى فى الوقت الحاضر،وضآلة زادهم من المعارف والعلوم، وجهلهم بتراثهم وتاريخهم إنما هو نتيجة طبيعية لضعفهم فى لغتهم،وفقدهم للمفتاح الجيد للثقافة والمعرفة والعلم،وهو اللغة المتمثلة فى كتاب أو مجلة أو صحيفة،أو إذاعة مسموعة أو مرئية وغير ذلك.

سبل علاج تدنى المستوى اللغوى:

إذا كنا ننشد إصلاحا حقيقيا لهذه الظاهرة فلا بد من تفعيل الفصحى بشكل قوى ،فى مدارسنا ومعاهدنا على مختلف المستويات بدءا من الروضة وانتهاء بالمرحلة الجامعية، وهذا لن يتحقق إلا من خلال الاهتمام بالتعليم كافة،وبخاصة الإبتدائى منه، ففى مقال لها تحت عنوان "أزمة الإبداع التعليمى فى المجتمع العربى" ترصد لنا الدكتورة/ ربى ناصر الشعرانى ما يئن تحته الواقع العربى فى أزمة التعليم فتقول:" فالتعليم فيه - أى فى الواقع العربى- غدا ورقة رابحة بيد الدول المستعمرة القوية التى أدركت السر الأكبر للإمساك بزمام الأمور فى المجتمعات العربية عبر إحكامها القيد على عقول النشء الجديد فى أولى خطوات انطلاقه نحو الحياة،قبل أن تتكون لديهم الحصانة الداخلية"(17).

هكذا تبدوا القضية واضحة أمام الجميع،فالأزمة التى نعيشها ونئن من ثقلها هى أزمة التعليم فى البلدان العربية فهو" الأزمة الأولى فى العالم العربى ،وإن الكلام عن حل لها لامعنى له،ما لم يحدث تغيير جذرى فى أنظمة التعليم السائدة التى تعكس تلقائيا التخلف الفكرى والجمود العقلى اللذين أصابا الإنسان العربى"(18) ، والتعليم الإبتدائى هو نقطة البداية فى الإصلاح إذ إن الطالب الذى يفشل فى التعليم الإبتدائى ولايتلقى أساسيات اللغة بشكل صحيح،سوف تجد فيه ضعفا ينتقل منه تباعا إلى المراحل التعليمية اللاحقة ،ولا نستطيع بعد ذلك أن نصحح خطأ ،أوأن نقوم معوجا ،ومن ثم فإننا لابد لنا من العمل على بناء طلاب ذوى تفكير إبداعى مميز،الأمر الذى يستلزم تحسين مخرجات مؤسسات التعليم وتطعيمها بفكر مبدع متقد، لا أن يستمر" التقليد الهمجى والعبثى للغرب،وتنمو فى التعليم العالى نظم التعليم النظرية التى تنشر الثقافة الاستهلاكية على حساب التعليم الميدانى،المهنى والعلمى الذى ضاقت مساحته إلى أدنى حد،وما يترتب على ذلك من نتائج تجرالويلات على المجتمع،فتتكدس شهادات العلوم النظرية،وتضمحل شهادات المنحى العلمى ليختل التوازن فى تلبية حاجات المجتمع"(19) ، وهنا" تتجلى ضرورة رفد المجتمع بشباب مفكرين يجيدون حل المشكلات، ويتقنون فن التعامل مع الغير،وهذا يستدعى –ولاشك- اعتماد تعليم فعال مغاير للتعليم المعتمد فى المدارس اليوم، تعليم مثمر يهدف إلى إكساب الطلاب العقلية المنفتحة التى تكسبهم حسن التصرف فى مجابهة التحديات التى ترتقب مجتمعهم وأمتهم" (20).

إن من أوجب الواجبات تغيير نظرتنا إلى التعليم الإبتدائى إن أردنا الجدية فى إصلاح وضع اللغة العربية فنوليه كل اهتمامنا،ونختار له أكفأ المعلمين علما، وأتقنهم لغة،وأكثرهم خبرة بأصول التربية والتعليم،وهكذا تفعل الأمم الحية والدول المتحضرة: تعرف للمرحلة الإبتدائية أهميتها،وتقدرها قدرها،وتدرك أنها المرحلة التى تبنى الطفل بناء علميا ولغويا سليما،لهذا يقول تونى بوزان" لايمكن للتعلم أن يكون ذا شأن إلا إذا كان العقل الذى وراءه يعرف جيدا كيف يستخدم كل كلمة بمهارة شديدة"(21)،والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة أين مدارسنا وجامعاتنا من الإبداع؟لاشك فى أن أسلوب الحفظ والتلقين هوالذى عطل وظيفة الإبداع حيث يحفظ الطالب التعريفات كما هى فى الكتاب المقرر،ويحفظ الأمثلة القليلة الجافة لايتجاوزها،بل وتأتى أسئلة الامتحانات داعمة لهذا الحفظ، مخاطبة ذاكرة الطالب لا فهمه، وكذا الأمر على هذه الشاكلة فى الجامعات، فالعلة" التى ألمت بالعالم العربى اليوم،وأطاحت به هى وأد الإبداع والتجديد الفكرى فى ثناياه،لينتهى إلى إصابة النفوس بعدوى التقليد عن غير هدى،فكانت الفوضى الفكرية بكل ما تحمل من معان، ومتى افتقد الاهتداء إلى الصواب فى القول والعمل،وفتح الباب على مصراعيه أمام التأثيرات الأجنبية الوافدة،وهزت الوحدة العربية فى صميمها،واستغل التنوع الفاقد لرابط يجمعه،وأصبح العقل العربى مشلولا لايقوى على استيعاب أفكار رفقائه، لتفقد الأمة بذلك وحدتها الروحية، وهذا –ولاشك - أول انزلاق تتعثر فيه،ثم تتوالى النكبات لينفى الخيال

كمعين أساسى للنظريات العلمية والحقائق المستجدة والاكتشافات الرائدة" (22) ،والكتاب التعليمى من أهم الجوانب التى يجب أن يتوجه إليها الإصلاح والعلاج لأن نجاح التعليم فى غرس عادة القراءة لدى المتعلمين،من شأنه أن يقوى لغتهم،ويعالج ضعفهم اللغوى،ويتيح لهم فرص الاطلاع على النصوص الفصيحة،وكثرة الاحتكاك بأساليب التعبير المختلفة ،لهذا لابد من تغيير المناهج التعليمية التى تعتمد على التأمل والابتكار ،فالمنهج العلمى" يلازم الطالب طيلة حياته،فبعد أن يكون محكوما بالقالب الأسرى الملزم، ينتقل إلى المدرسة،حيث يتابع المعلم دوره فى كبت حرياته الأربع: حرية الحركة،الكلام،التفكير والاختيار، ويبدأ فى تدريبه على تسمير جسده فى المقعد من دون تفكير،وينصب المعلم أمامه آمرا ناهيا معصوما من الخطأ فينشأ الطفل على تقديم الإذعان والطاعة للغير،فلا يناقش أو يحاور أو يفند،بل يسمع وينفذ،وتغدو هذه السمة ملازمة لشخصيته،طامسة كل مهارة قيادية لديه،وهذا بحق جريمة كبرى ترتكب فى حق الطالب والمجتمع بأسره،ولا سيما أنه يفتقد القيادة المبدعة الواعية" (23)0لقد أضحى التعليم دوامة مغلقة غير قادرة على التأهيل الصحيح ،فالأساتذة تحكمهم قوالب محدده والطلاب يتزاحمون فى انتظار شهادات التخرج،تخرج طلاب غير قادرين على تحمل أعباء الأمة،ففكرهم لم يتعود حل المشكلات،وإنما التلقين وحسب،ولهذا يقول الدكتور عبد العزيز القوصى:" تلاميذنا اليوم تتم تنشئتهم على الأنانية والسطحية والمظهرية وحفظ الأشياء فى الذاكرة ومن شأن ذلك أن يحقق تعليما بنكيا"(24) ،ومن هنا فإنه" لابد من العمل على تغيير الحال،وإيجاد مناهج التفكير النقدى،إلا أن هذه المناهج التعليمية تحتاج إلى دعم مالى عال ليتم نقل الشباب من ثقافة الكتاب إلى ثقافة الإبداع عبر نشاطات تساعد على انطلاق التفكير المتشعب وهذا بالطبع ليس بالأمر الهين،بل يحتاج إلى تأميم ورعاية"(25) كما هو الحال مع دول مثل أمريكا، واليابان والهند،ففى أمريكا اليوم" يتم تغيير المناهج كل ثلاث سنوات لمواكبة تطورات العلم والتكنولوجيا المتلاحقة،وتقدر كلفة منهج العلوم فى أمريكا للصف السادس بحوالى 600مليون دولار، شارك فى تأليفه 600 شخص ،منهم كبار رجال الصناعة فى أمريكا،ليدلوا بدلوهم فى التركيز على القضايا التى تهم الصناعة الأمريكية"(26) وهذا وإن دل فإنما يدل على مدى فاعلية النظام التعليمى فى الارتقاء بالأمة،وتحصينها لمواجهة أقسى التحديات ،وإذا كان تغيير المناهج أمرا ضروريا لابد منه لدفع العملية التعليمية نحو التقدم والازدهار فإن على المجامع العربية كذلك دورا أساسيا يهتم بالعربية وسلامتها، ومما لاشك فيه أن للمجامع جهودا تنعكس على مجالات التعليم، غير أنها لم تنص على التعليم فى أهدافها صراحة،وغاب موضوع تعليم العربية فى خططها وأهدافها فلماذا جعلت المجامع نفسها بمنأى عن التعليم؟ أو جعلته عنها بمنأى؟ والجواب أن " التعليم لم يكن هدفا- صريحا- من أهداف المجامع ،غير أن أى عمل يخدم اللغة يسهم فى خدمة تعليمها بلا شك. وقد جعلت المجامع قاطبة من أهدافها: الحفاظ على سلامة اللغة ، والسعى بها نحو مواكبة العصر، وقد سعت المجامع لتحقيق هذين الهدفين بوسائل تصب فى خدمة التعليم،وإن لم ترد به ذلك على نحو صريح،فجاءت الانجازات كبيرة وعظيمة فهى بحاجة إلى مراجعة وتقويم(27)

الإنجازات فى ضوء الأهداف

تيسير النحو والصرف	حفاظا على سلامة اللغة
الكتابة والإملاء	
المعاجم	
التعريب والترجمة	وتحقيقا للوفاء بمتطلبات العصر،ومواكبة التطور اللغوى علميا وحضاريا
البحث العلمى	

هذا وقد استعرضت الدراسة التى قامت بها الدكتورة هدى سالم آل طه قضايا تيسير النحو والصرف ،والكتابة والإملاء،وكذا التعريب والترجمة فى خدمة التعليم،بالإضافة إلى المعاجم والبحث العلمى،ودورها جميعا فى خدمة العربية،منوهة فى نهاية الأمر إلى أن الحل" يجب أن يبدأ من داخل المجامع،بدءا من تحول لغة الخطاب،ومنهج العمل،وملامسة الواقع والاستعمال،وإشراك المجتمع بأفراده ومؤسساته لصناعة التغيير،وسيبدأ التغيير الحقيقى فى دور المجامع حين تصبح رسالة المجامع رسالة الدولة والأفراد،ومفتاح ذلك التعليم،فعلى المجامع أن تعيد صياغة أهدافها بما يتناسب مع العصر،وأن تجعل التعليم من أولوياتها،وأن تسعى إلى تسريع عجلة إنجازاتها لتتوافق مع سرعة العصر وحاجة الاستعمال،وأن تتصالح مع التكنولوجيا لتكون نافذتها للتواصل مع العالم،فتولى اهتماما خاصا بمشروعات حوسبة اللغة،والتعليم

الالكترونى،والترجمة الآلية" (28) ،وهكذا نرى أن المجتمع العربى ينوء بثقل التحديات العلمية ،حيث كان نصيبه خلال المائة سنة الماضية من الاكتشافات والابتكارات العلمية منعدما أوشبه منعدم،وما الأدوات والآلات المستوردة إلا دليل آخر على الفشل والخنوع،غير أن " الأمل بالله كبير...والمتأمل فى واقع البلدان العربية يلحظ وجود نسبة كبيرة شابة من سكانها60% من سكانها دون سن الثلاثين0 وهذا أمر يدعو إلى التفاؤل فالشباب معقود عليهم الأمل فى التغيير والتخطيط لمستقبل تعليمى مشرق،وإن مجرد السير فى مضمار التجديد التربوى- ولوكان محدودا- يفتح تدريجيا آفاقا تحسينية فى نواح متفرقة من النظام التعليمى" (29)

ثانيا: تشجيع انتشار اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها فى الحياة العامة:

وإذا كان تدنى المستوى اللغوى من أخطر العوائق والعثرات التى تواجه اللغة العربية فإن ظاهرة تشجيع اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها فى الحياة العامة أشد خطرا،إذ إن النتيجة الطبيعية تبعا لذلك شيوع اللحن على الألسنة،وكثرة الأخطاء فى الكتابة، والعجز عن استعمالها بشكل سليم،وفى هذا الصدد تشير الدراسة التى قامت بها الباحثتان إيمان جابر شومان،وإيناس محمد غزال السابق الإشارة إليها إلى أن " المصطلحات الغربية التى يتداولها الطلاب اليوم،وخاصة من قبل المراهقين والشباب تقلل من اللغة العربية ،وإصرار الناس على استخدام العامية مما يسرع بتزايد وتيرة التردى والهبوط"(30) ففى "مرحلة التعليم الأساسى والمرحلة الثانوية تعد لغة الدراسة الرئيسية هى اللغة العامية حتى فى درس القواعد النحوية العربية ،والدراسة الجامعية فى أقسام اللغة العربية تلقى فيها أكثر المحاضرات بالعامية الدارجة،أضف إلى ذلك ماعليه عدد لابأس به من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة من ضعف المستوى اللغوى،وهشاشة المادة العلمية..." (31) ولا أجد ما أقوله " مما يتناسب مع هذا التردى إلا قول زعيم الأمناء المرحوم الأستاذ أمين الخولى مما جاء فى كتابه" فن القول" وكأنى به لايزال بين ظهرانينا يشهد ما نحن فيه من مآس ومحن ،حيث قال:"وإذا لم تكن اللغة عند أهلها أنفسهم فى منزلة كريمة،فما مكانها فى الدنيا بعد ذلك؟وما منزلتها فى الوجود وراء هذا؟ وليس بدعا أن نشعر بالصلة الوثيقة،والعلاقة القريبة جد القرابة،بين وجودنا السياسى وحياتنا اللغوية،وبين كياننا العالمى ووجودنا اللسانى،وبين كرامتنا الدولية ومكانتنا الأدبية،فتلك كلها- فى نظر الاجتماعى- وشائج متواصلة،وأواصر متداخلة،لايشعر بينها بانفصال،ولايجد تباعدا- ونحن لانعيش إلا بكرامتنا الاجتماعية،ولا نستطيع أن نعيش بغيرها"(32).

إن اللغة العربية دون غيرها من سائر اللغات تتعرض بين الحين والآخر إلى حملات التشويه والتدمير، سواء من غير العرب المستشرقين الأوربيين أوممن يسيرون فى فلكهم من الناطقين بلغة الضاد،وقد " منيت العربية الفصحى كما يقول د. رمضان عبد التواب- رحمه الله- فى العصر الحديث بخصوم حاقدين وأعداء ألداء من الشعوبيين الجدد من أمثال المستشرق الألمانى تيودور نولدكه وغيره،وليست تلك الهجمة الضارية إلا جزءا من الهجوم على الدين الإسلامى الحنيف، لما فطن له أعداء هذا الدين من الارتباط الوثيق بينه وبين اللغة العربية الفصحى ،ومن قبله كانت دعوة المستشرق الألمانى ولهلم سبيتا إلى التحول من الفصحى إلى العامية،وقد وضع كتابا أسماه" قواعد اللغة العربية فى مصر"، وكذلك المستشرق الانجليزى وليم ويلكوكس، الذى كان يعمل مهندسا للرى فى مصر.أما المستشرق المشهور ما سينيون فكان يدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية،وكان يدعو أيضا إلى اللهجات العامية" (33) ولا يقتصر الأمر على المستشرقين وفقط بل امتد الأمر لعدد من العرب والمصريين لعل أشهرهم سلامة موسى الذى حمل على العربية الفصحى ورأى أنها تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة فى القومية العربية ،فالمتعمق فى الفصحى –على حد قوله- لايشرب الروح المصرية،لايدرس تاريخ مصر كما يعلن تأييده المُطلَق لولكوكس بضرورة هجر العربية وإحلال العامية مكانها، وهو يُسمِّي العربية الفُصحى: اللغة البدوية، ومِن ثم لاتصلح أن تكون لغة ثقافة ،لأن الثقافة بنت الحضارة لابنت البداوة.

إن الدعوة إلى العامية كانت إحدى الطرق التى تبناها المستشرقون ورواد الاستعمار وأذنابهم، حتى لايتفاهم المسلمون ولا يفهمون لغة قرآنهم،وعلى الرغم من ذلك" لم تهدأ المحاولات الجادة الحاقدة التى استهدفت اللغة العربية،والعمل الحثيث نحو إحلال اللهجات العامية محلها أملا فى اقتراب اللغة العربية من نهايتها... حتى إن تشارلز فيرجسون العالم اللغوى الأمريكى المعروف توقع أن تكون النهاية فى العام 2150م عندما تظهر لغات رسمية عربية ترث الفصحى أمثال المغربية والمصرية والسورية والسودانية كما يسميها..." (34)،هذه الدعوات الماكرة لن تجد لها صدى ،ولن تجنى من ورائها نفعا،ذلك أن الله تعالى تكفل بحفظ هذه اللغة التى هى لغة قرآنه،فقال جل شأنه:" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(35)،ومما يزيد القلب ألما أن الأمر لايقتصر على المستشرقين وفقط، بل امتد ليشمل الوطن العربى،حيث" ظهر كثير من الكتاب فى العصر الحديث،ممن يدعون إلى العامية المحلية،أو إلى كتابة العربية بحروف لاتينية0وقد يؤدى كل ذلك إلى آثار

وخيمة على الشعور بالانتماء القومى، ذلك أن اللغة ليست مجرد أصوات أو ألفاظ منطوقة،أو كلمات مكتوبة، وإنما هى كيان متكامل من الفكر والوجدان والتراث والتاريخ والقيم الدينية والأخلاقية"(36) ، لهذا رأينا الشاعر حافظ إبراهيم يهب مدافعا عن اللغة العربية، وينعى- فى حسرة وألم- حظها بين الأمة،إذ إن عزة الأمة مرهون بعزة لغتها، انظر إليه وهو يقول:

أرى لرجـــال الغرب عزا ومنعـــــة   وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا   فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكــــم من جانـب الغرب ناعـب   ينادى بوأدى فى ربيع حياتى (37)

فالنص تنبعث منه أصوات الحسرة والبكاء حتى لنكاد نسمع صوت اللغة العربية يدوى فى الآفاق يا حسرتا على قومى، تركونى وغفلوا عنى، نكاد نسمع صوتها مثل صوت المحتضر الذى غشيه الموت،ولسان الحال يقول كيف غض أهل اللغة العربية أبصارهم عنها وهى تموت بفعل أهل الغرب ومحاولاتهم القضاء عليها،وإحلال لغاتهم محلها، لهذا كان حافظ إبراهيم حريصا على أن ينادى على حماة العربية، والغيورين عليها ويأتى فى مقدمتهم الكتاب بقوله:

إلى معشر الكتاب والجمع حافل   بسطت رجائى بعد بسط شكاتى

فإما حياة تبعث الميت فى البلى   وتنبت فى تلك الرموس رفاتى

وإما ممـــــــات لا قيامــة بعده   ممات لعمرى لم يقس بممات (38)

هكذا يطرح حافظ إبراهيم القضية واضحة أمام أعيننا ،منوها إلى الواقع الكئيب الذى تعيشه العربية بفعل أهلها،وبخاصة ما تفعله بعض الصحف من نشر لموضوعات ومقالات باللهجة العامية، فهى تروج بذلك لهجر اللغة العربية،وتساعد على بعد الجمهور وخاصة الشباب عنها، مما جعل تلك الأزمة تتفاقم،وهنا يضع" موجهو اللغة العربية مسئولية كبرى على عاتق الإعلام العربى بكافة مستوياته وأجهزته وأن يعد إعدادا جيدا للمستقبل من خلال النقاط التالية:

1. تعزيز مكانة اللغة الفصحى فى النفوس لكونها لغة المستقبل.
2. إفساح مزيد من الوقت للفصحى فى شكل جديد يغرى على استعمالها ومتابعتها.
3. رصد الأموال للترويج إعلاميا للغة الفصحى والتعريف بها.
4. إصدار التشريعات والأنظمة التى تحمى اللغة وتصونها من مزاحمة اللغات الأجنبية لها"(39)

ويرى الدكتور عبد الغفار حامد هلال أن كثرة الأخطاء فى الفصحى تعود إلى محاصرة العامية لها،وازدواجية التلقى،حيث يستمع الطالب إلى المحاضرة بالفصحى ثم يخرج من قاعة الدرس فيجد أن العامية تلفه حيث اتجه فهى لغة الشارع المنتشرة،ولغة البيت، ولغة الإعلام فى كثير من الأحايين، ومن هنا تقع الأخطاء نتيجة اختلاط التعبيرات العامية بالفصحى"(40) ولهذا نقول بأن" لغتنا فى خطر،ولكن ليس معنى ذلك أن نلعنها ونلغيها،ونستبدل العامية بها ، ولكن الأجدى من ذلك أن نبحث بالطرق العلمية المنهجية لحل مشكلاتها وتيسيرها على ألسنة وأقلام الناطقين والكاتبين بها..." (41).

ثالثا: انتشار الفضائيات العربية التى تبث برامجها بالعامية:

وإذا كان الإعلام هو المرآة العاكسة لمختلف تفاعلات المجتمع وتحولاته، فإنه يغدو مهما للغاية إذن أن نبحث عن دوره فى خدمة العربية،بعد هذا التردى الذى وصل إليه،فانتشار قنوات البث الفضائى العربى كان له دوره فى الترويج للعامية فى كل قطر،ذلك أن مقدمى البرامج كثيرا ما يعمدون إلى استخدام المفردات العامية،سواء من قبيل التبسيط ورفع الكلفة،أو مظنة التظرف والنفاد إلى عقول وقلوب المستمعين ،أو بسبب قلة البضاعة فى اللغة العربية،والمشاهد لتلك القنوات يستطيع أن يلمس فى مقدميها أن قلة قليلة فقط هى المتمكنة من العربية،بينما الأغلبية تخاطب المشاهدين إما بعربية مكسرة،وإما بالعامية الدارجة،وهكذا تحول الإعلام من مركز للتنوير والتعبير عن ضمير الأمة،إلى آلة للهدم والتخريب،الأمر الذى لايستطيع المرء أن يكتم إزاءه حزنا وألما على ذلك المشهد الذى تصرع فيه العربية، فهل من سبيل للخروج؟ وهل هناك فضائيات عربية تقوم بالدور الذى قامت به اسرائيل من أجل لغتها العبرية، حيث قامت بنشرها بطريقة فصيحة وصحيحة توحد بين أشتات المهاجرين اليهود؟ يجيب عن هذا التساؤل الدكتور الطاهر خليفة القراضى فى مقاله تحت عنوان" الفضائيات العربية هل من دور تعليمى لها؟" حيث يرصد لنا صورة المشهد الإعلامى ،والفضائيات العربية،ويرى أن هذه الفضائيات التى تبث برامجها للعرب وباللغة العربية عليها أن" تستفيد من ملتقطيها وتفيدهم،ولتنجح فى ذلك لابد لها من أن تحرص على شيئين اثنين لايكون لها النجاح من دونهما،وهما:أ- ضرورة التركيز على تقديم برامج هادفة تربويا وأخلاقيا بشرط أن تكون معدة بأسلوب ترفيهى أو على صورة رسوم متحركة تتناسب مع أعمار الأطفال والشباب لأن هذه الفئة العمرية هى التى يجب أن تؤسس على أساس سليم،لتكون خير استثمار للوطن والأمة حاضرا ومستقبلا،ب –أن تكون هذه البرامج بلغة عربية سليمة ولكنها ليست لغة متقعرة،بل لغة إعلامية بسيطة يفهمها المستهدف،ومن خلال هذه الوسيلة- اللغة العربية السليمة البسيطة- يتعلم أبناؤنا بطريقة تلقائية التربية والأخلاق والمثل العليا إلى جانب اللغة العربية"(42).

وإذا كانت وسائل الإعلام تنشد الريادة والتوجيه،وقيادة المجتمع نحو الأرشد والأفضل،فلا شك- إذن- فى توافر شرطين أساسيين أحدهما:الإرادة السياسية التى تدرك أهمية اللغة العربية،وتعلن انحيازها لها فيما تمارسه من أفعال وما تتبناه من خطاب،والآخر يتمثل كما ذكرت سابقا فى تفعيل جهود مجامع اللغة العربية على نحو أفضل ليضع بين يدى المعنيين بالعربية البدائل العربية للمصطلحات الأعجمية التى تنتشر بينهم،وبتحقيق هذين الشرطين نصل إلى إعادة الدور الصحيح للغة العربية على أيدى أهلها، ويذكر الدكتور الطاهر خليفة القراضى فى مقاله سابق الذكر أنه اطلع على مخطوط عربى لترجمة كتاب انجليزى بعنوان التخطيط اللغوى والتغير الاجتماعى لمؤلفه بروفيسور كوبر،فى هذا المخطوط استرعى انتباهه عدة أمور أهمها: أ- أن اللغة العبرية كانت محصورة فى أداء الطقوس الدينية فى المعابد اليهودية،وعندما أقام اليهود دولتهم فى فلسطين،كان لزاما عليهم أن يتكلموا لغة مشتركة،وهى طبعا اللغة العبرية،وبما أن اليهود الذين تقاطروا على الدولة الجديدة جاءوا من خلفيات لغوية مختلفة،فإنهم بطبيعة الحال كانوا يتكلمون لغات متعددة...وكان لابد للدولة أن تعزف على الوتر الحساس...فرفعت شعارات تنادى بضرورةالتكلم بالعبرية منها شعار"اليهودى يتكلم عبرى" وقد وضع هذا الشعار على الجدران وفى كل مكان حتى يشعر كل يهودى أنه لايكون يهوديا إلا إذا تكلم العبرية..... "(43).

إننا بحاجة إلى إعلام حقيقى يغرس حب العربية الصحيحة فى نفوس الأبناء،وإغنائهم بالمفردات التى تمكنهم من التحدث باللغة العربية الفصحى دون صعوبة،وذلك من خلال تقديم البرامج للصغار والكبار بتلك اللغة،ومن ثم فإننا بحاجة إلى" فضائيات تقدم إنتاجا ترفيهيا يحمل القيم والمبادىء والخصال المراد غرسها فى لاشعور الطفل،فضائيات تهتم بسلامة النطق أثناء تقديم كل برامجها بحيث تكون اللغة متواكبة مع مستوى العمرالمستهدف ومستوى تعليمه، فضائيات قادرة على تحفيز الأطفال ودفعهم إلى التنافس من أجل الحصول على جوائز وهدايا مقابل إسهامهم أو تميزهم فى أى مجال من مجالات الإبداع، فضائيات قادرة على استقطاب الصغار والكبار من خلال إجراء مسابقات على الهواء تتعلق باللغة العربية نحوا وصرفا وأدبا..بحيث تنظم لها بطولات دورية سنوية أوشهرية،فضائيات تشجع الكتاب والمبدعين والمنتجين وذلك لإنتاج مسلسلات خاصة بالأطفال ،أو رسوم متحركة تعتمد على عنصرى الترفيه والتشويق وتحتوى على القيم والأخلاق وتقدم بلغة عربية بسيطة وسليمة" (44)،إننا مطالبون بإعادة النظر فى طريقة التعامل مع لغتنا العربية واختيار أنجح الأساليب فى تعلمها وتعليمها،وألا نتردد فى التضحية بكل ما نراه من الشكليات لحفظ الجوهر،ولنضمن لها النماء المتكيف مع الزمن.

رابعا: الاهتمام باللغة الأجنبية على حساب العربية

إن المتأمل فى الواقع العربى بعامة،والمصرى بخاصة يرى تحديا سافرا للغة العربية فى كافة المجتمعات" بفعل العولمة والتشبه الساذج بالأجنبى عندما تجاهر كثير من المحلات التجارية والمؤسسات الخاصة والشركات العاملة فى الوطن العربى بكتابة لافتاتها باللغة

الأجنبية،وتسطير تقاريرها وصياغة عقودها وإصدار تعليماتها إلى العاملين فيها وإن كانوا عربا باللغة الأجنبية الأمر الذى يمس الوضع السيادى للغة العربية بوصفها اللغة الرسمية فى مجتمعاتنا العربية، وفى هذه الحالة يرقى الفعل إلى درجة الاستهتار بهيبة الدولة والانتقاص من كرامتها،وفى بعض الدول المتقدمة يشكل هذا الفعل جريمة يعاقب عليها القانون"(45)، فكيف بالله تصبح لغتنا العريقة لغة القرآن الكريم،لغة مهجورة من أبنائها حتى بتنا نتمسح فى لغات غيرنا،ونكتب على واجهات محالنا وحوانيتنا هذا الخليط العجيب من لغات أهل الأرض، التى كان أصحابها يلهثون وراءنا،ويتعلمون لغتنا،لكى ينهضوا ويفيقوا من سباتهم الطويل؟، لقدأصبحت لغتنا لغة ال" take away " كما يقولون،ولكنهم يكتبونها بالحروف العربية ولا يخجلون" (46)،إن" التحدى الذى يواجه اللغة العربية اليوم مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الانجليزية الناتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو أجنبى،والظن الزائف بأن التقدم لايأتى إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع، بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم، ومن المعروف أن هذا ما يسمى فى علم النفس ب(عقدة النقص) فيحاول بعضهم أن يضفى على شخصيته شيئا من الرقى والتطور عن طريق النطق باللغة الأجنبية بين العرب،فبدلا أن يقول لك حسنا أو طيب أو جيد يقول لك (ok) " (47)،ولاشك فى أن الانبهار بكل ما هو أجنبى إنما مرده الإحساس بالهزيمة النفسية التى يعانى منها الإنسان العربى فى هذا العصر والإعجاب المتنامى بصانع الحضارة المعاصرة الذى يمثل المنتصر والأقوى،وهذه ظاهرة لاينبغى علينا الاستخفاف بها لأن ذلك يعد مؤشرا خطيرا ومعبرا عن أزمة الهوية فى المجتمع المصرى ،وفى هذا الصدد يعبر أحد موجهى اللغة العربية عن ذلك بقوله:" قد سمعت مشرفة فى روضة الأطفال فى إحدى الدول العربية وهى تدعوهم لدخول الفصل فتقول لهم يالا جو جو،أى اذهبوا ويفهمها الأطفال ولايستغربون ما تقول"(48) ومن هنا يطرح السؤال نفسه كيف نواجه تلك العوائق والعثرات،ونطوق مشكلات اللغة العربية؟ أرى أن الإجابة عن هذا السؤال رهن استعمالنا لها،وقدرتنا على توسيع مجالها ، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا،ولا يتحقق ذلك إلا بقدر ممارستنا الصحيحة لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة،وإبقاؤها لغة تواصل بين كل العرب رهين جمعنا لشتات معطياتها وتجسيمها فى وسائل عمل متجددة،وأن نحافظ على تلك الوصية الرائعة التى وضعها لنا عبد الحميد الكاتب مخاطبا بها الكتاب بقوله:" حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم،فإن الله عزوجل جعل الناس- بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وبعد الملوك المكرمين- أصنافا...فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات،أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية...فتنافسوا معشر الكتاب فى صنوف الآداب، وتفقهوا فى الدين،وابدءوا بعلم كتاب الله عزوجل ،ثم بالعربية فإنها ثقاف ألسنتكم،ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار،واعرفوا غريبها ومعانيها...فإن ذلك معين لكم على ما تصبو إليه هممكم..".

ثالثا: خاتمة البحث

لاشك من خلال ما سبق أن هناك الكثير من العوائق والعثرات التى تقف فى وجه اللغة العربية ،ويتطلب الأمر تكاتفا حقيقيا لإزالتها،إننا لابد أن ندعو جميع الغيورين على اللغة العربية والقائمين على إعلامها إلى تضافر الجهود الصادقة لمواجهة تلك العثرات ،لهذا ينبغى العمل على ما يلى:-

1. إذا كانت الدول تقوم بسن القوانين وإصدار التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تصان اللغة من التدليس والتدنيس.

2. على المجامع واتحادها أن يسعوا فى سبيل استصدار قرار يفرض التعليم بالعربية لاسيما أن أغلب الدساتير تعتمد العربية لغة رسمية ،وأن يعدوا العدة لسد الثغرات فيما تحتاج إليه المدارس والجامعات.

3. على المجامع أن تعيد صياغة أهدافها بما يتناسب مع العصر،وأن تجعل التعليم من أولوياتها،وأن تسعى إلى تسريع عجلة إنجازاتها لتتوافق مع سرعة العصر وحاجة الاستعمال ،وأن تتصالح مع التكنولوجيا والتعليم الالكترونى،والترجمة الآلية.

4. يمكن لنا أن ننمى اللغة العربية من خلال العديد من الأفكار التى يمكن وضعها وتنسيقها فى محورين رئيسيين: الأول يتمثل فى تفعيل اللغة الفصحى وإحيائها،والآخر يتمثل فى مسئولية الإعلام بكافة مستوياته (المسموع - المرئى- المقروء) وهى

مسئولية جسيمة أن نتحملها لإعادة اللغة العربية إلى وضعها الصحيح،وتعزيز مكانتها فى النفوس،لكونها لغة الأمة،وبناء المستقبل.

5. مواجهة اللغات المحلية واللهجات الدارجة التى طغت على الفصحى ،وأصبحت تستعمل فى معظم مجالات الحياة فى البلاد العربية.

6. ضرورة تركيز المناهج الدراسية على المهارات اللغوية الأساسية كالاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة.

الهوامش

(1) حسين شحاته: إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر، جريدة الشرق الأوسط، 24 يناير 2001م، ص10.
(2) محى الدين صابر:من قضايا الثقافة العربية،المكتبة العصرية،ط2، بيروت ،1987م،ص30 .
(3) د. أحمد على كنعان: دور التربية فى مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادى والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة،بحث مقدم فى مؤتمر العولمة وأولويات التربية فى الفترة من 20-22 /2004/4م
(4) محمد إبراهيم مجاهد:بعض مخاطر العولمة التى تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية فى مواجهتها،مجلة مستقبل التربية العربية،مجلد 7، عدد 22، 2001م، ص17
(5) عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات فى سيكولوجية الاغتراب،دار غريب، القاهرة،2003م ،ص 125.
(6) د. إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة- دراسة ميدانية على بعض موجهى اللغة العربية " ،مجلة كلية الآداب- جامعة طنطا، العدد 21، 2008م،ص 824
(7) انظر مقال بعنوان "وجها لوجه" د.عبد الكريم الأشتر وعبد الرحمن حمادى بمجلة العربى الكويتى، العدد567 ،المحرم 1427هـ- 2006م ،ص 72.
(8) د.عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطىء): لغتنا والحياه،دار المعارف المصرية، القاهرة 1972م ،ص 196.
(9) د.إيمان جابر شومان، و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة، مرجع سابق ص 831.
(10) نفسه: ص 831.
(11) د.أحمد على كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل علاجها،بحث مقدم للمؤتمر الدولى للغة العربية" العربية لغة عالمية:مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة" فى الفترة من 19-23 آذار – بيروت ، 2012م، ص 22
(12) د. إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة،مرجع سابق،ص832
(13) أحمد على كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل علاجها ، مرجع سابق، ص 23 .
(14) نفسه : ص24.
(15) إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافيةومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة،مرجع سابق،ص834- 835 بتصرف.
(16) د.محمد حلمى أفندى: من الأخطاء الشائعة، مقال ضمن مقالات كتبها أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغةالعربية- كلية الآداب- جامعة طنطا، العدد 13، 1429هـ- 2009م ، ص 119-120
(17) د. ربى ناصر الشعرانى: أزمة الإبداع التعليمى فى المجتمع العربى،مجلة العربى الكويتى،العدد669، أغسطس 2014م، ص 18
(18) نفسه: ص 19 .
(19) نفسه: ص 18.
(20) نفسه: ص 18- 19 .
(21) نفسه: ص 19.
(22) نفسه: ص 20 .
(23) نفسه: ص 21 .
(24) د.عبد العزيز القوصى: الحاجة إلى التغيير، القاهرة، د.ن ،1989م ، ص12 .
(25) د. ربى ناصر الشعرانى: أزمة الإبداع التعليمى فى المجتمع العربى،مرجع سابق، ص21 .
(26) نفسه: ص20 .
(27) د.هدى سالم آل طه: مجامع اللغة العربية وصناعة التعليم والتعريب والترجمة،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، المجلد 42، العدد 3،يناير- مارس 2014 ،الكويت، ص247.
(28) نفسه: ص260 .
(29) د. ربى ناصر الشعرانى: أزمة الإبداع التعليمى فى المجتمع العربى،مرجع سابق، ص 22.
(30) د. إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافيةومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة،مرجعسابق،ص 832 .
(31) نفسه: ص 833.
(32) د.محمد فتحى فرج: العقاد يفند بعض المفتريات حول اللغة العربية،مجلة العربى الكويتى، العدد 669 ،أغسطس 2014 ، ص 29-30
(33) نفسه: ص 30 .
(34) نفسه : ص 31.
(35) سورة الحجر: الآية 9
(36) د.محمد فتحى فرج: العقاد يفند بعض المفتريات حول اللغة العربية،مرجع سابق ، ص 31 .
(37) ديوان: حافظ إبراهيم، تحقيق أحمد أمين،أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، الهيئة المصرية العامةللكتاب، ط3، القاهرة 1987م، ص 254 .
(38) نفسه: ص 255 .
(39) د.إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافيةومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة،مرجعسابق،ص 845 .
(40) د.أحمد كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة، مرجع سابق، ص22-23.
(41) د.محمد فتحى فرج: العقاد يفند بعض المفتريات حول اللغة العربية،مرجع سابق ، ص 33.
(42) د. الطاهر خليفة القراضى: الفضائيات العربيةهل من دور تعليمى لها؟ ،مجلة العربى الكويتى،العدد 567- المحرم 1427ه – فبراير 2006م- ص 76 .
(43) نفسه : ص 76-77.
(44) نفسه: ص 79 .
(45) د.إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة،مرجع سابق،ص838 .

(46) د.محمد فتحى فرج: العقاد يفند بعض المفتريات حول اللغة العربية،مرجع سابق ، ص 30.
(47) د.أحمد كنعان: اللغة العربية والتحديات المعاصرة، مرجع سابق، ص7-8 .
(48) إيمان جابر شومان،و إيناس محمد غزال: الهوية الثقافيةومأزق اللغة العربية ،مرجع سابق،ص 836 -837.

المصادر والمراجع

أولاً: القرءان الكريم
ثانياً: المراجع

1. د. أحمد على كنعان: دور التربية فى مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادى والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة،بحث مقدم فى مؤتمر العولمة وأولويات التربيةفى الفترة من 20-22 /2004/4م
2. ـــ: اللغة العربية والتحديات المعاصرة وسبل علاجها،بحث مقدم للمؤتمر الدولى للغة العربية" العربية لغة عالمية:مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة" فى الفترة من 19-23 آذار – بيروت ، 2012م.
3. د. الطاهر خليفة القراضى: الفضائيات العربيةهل من دور تعليمى لها؟ ،مجلة العربى الكويتى،العدد 567- المحرم 1427ه - فبراير 2006م
4. د.إيمان جابر شومان،د. إيناس محمد غزال: الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة- دراسةميدانية على بعض موجهى اللغة العربية،مجلة كلية الأداب، جامعة طنطا، العدد21، يناير 2008م.
5. حافظ إبراهيم: ديوانه، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1987م.
6. حسين شحاته: إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر، جريدة الشرق الأوسط، 24 يناير 2001م.
7. د. ربى ناصر الشعرانى: أزمة الإبداع التعليمى فى المجتمع العربى، مجلة العربى الكويتى،العدد669، أغسطس 2014م.
8. د.عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطىء): لغتنا والحياه،دار المعارف المصرية، القاهرة 1972م.
9. د.عبد العزيز القوصى: الحاجة إلى التغيير، القاهرة، د.ن ،1989م .
10. د.عبد الكريم الأشتر وعبد الرحمن حمادى: " وجها لوجه" ، مجلة العربى الكويتى، العدد567 ،المحرم 1427هـ- 2006م.
11. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات فى سيكولوجية الاغتراب،دار غريب، القاهرة،2003م .
12. محمد إبراهيم مجاهد:بعض مخاطر العولمة التى تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية فى مواجهتها،مجلة مستقبل التربية العربية،مجلد 7، عدد 22، 2001م.
13. د.محمد حلمى أفندى: من الأخطاء الشائعة، مقال ضمن مقالات كتبها أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة طنطا، العدد 13، 1429هـ- 2009م .
14. د.محمد فتحى فرج: العقاد يفند بعض المفتريات حول اللغة العربية،مجلة العربى الكويتى، العدد 669،أغسطس 2014م .
15. محى الدين صابر:من قضايا الثقافة العربية،المكتبة العصرية،ط2، بيروت ،1987م.
16. د.هدى سالم آل طه: مجامع اللغة العربية وصناعة التعليم والتعريب والترجمة،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، المجلد 42، العدد 3، الكويت ، يناير- مارس 2014.